أسباب الرحـلات المغاربيـة إلى الحجـاز

إبان القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي

أ. صادوق الحاج /جامعة الجزائر02 /أبو القاسم سعدالله

الملخص

في الوقت الذي تعطلت فيه الرحلات بالمشرق، نلاحظ نهضتها بالغرب الإسلامي حيث جاب أبناؤه الأقطار الإسلامية حاملين رسالتهم الحضارية والفكرية دون أن يصطدموا بقيود سياسية أو جنسية. ذلك أن كفاءة المرء كانت تقدم على لونه أو إقليمه، فكان للوعي الاجتماعي وفضيلة التسامح بين المسلمين أثره في إمتزاج الدم وذوبان المهاجرين في المجتمع.

ولم يقصر المغاربة علاقاتهم على دول ما وراء الصحراء، بل نراهم حريصين على تعزيز صلاتهم بالمشرق سواء بنية أداء فريضة الحج أو إستكمال المعارف ولقاء المشايخ وربط السند العلمي وبرز في هذا المجال جملة من الأعلام المغاربة. ولعل أبا الوليد المعروف بإبن الفرضي قد بين في كتابه تاريخ علماء الأندلس جانب الأخذ والعطاء وأحوال الرحالين.

Summary

At a time when flights were disrupted Pilcher, we observe renaissance of the Islamic West, where Jaap sons Islamic countries, carrying their message of cultural and intellectual slam without political or nationality restrictions. So that the

efficiency of one has been progress on its color or its territory, was the social consciousness and the virtue of tolerance between Muslims immiscible impact on the blood and the melting of immigrants into society.

Moroccan relations was not limited to countries beyond the desert, but we see them are keen to bolster their prayers Pilcher whether to perform the Hajj or complete knowledge structure and meet with the elders and linking scientific Sindh has emerged in this area a number of Moroccan flags. Perhaps the father of newborn known as Ibn premise has the book in the history of Andalusia scientists along with give and take and conditions Rahalin.

مقدمـــة:

تعد منطقة الحجاز أهم محطة لأنظار أبناء العالم الإسلامي لما لها من أهمية دينية وتاريخية، ففيها المسجد النبوي الشريف التي تشد اليها الرحال، ومنها خرج الصحابة بقيادة المصطفى صلى الله عليه وسلم لنشر دعوة الإسلام، ويوجد بها مثوى آلاف الصحابة - رضوان الله عليهم – كما توجد بمنطقة الحجاز عدة حواضر إسلامية، خاصة حاضرة المدينة المنورة التي كانت عاصمته الأُولى ما يربو على أربعين عامًا، شهدت كل الأحداث السياسية المؤثرة والتي لا يزال صداها على العالم الإسلامي كله، ومنها خرج الإمام مالك لنشر دعوة الإسلام، وكان احد أصحاب المذاهب الفقهية الشهيرة، والذي نشر مذهبه في بلاد المغرب على

إتساعها وغيرها، كل هذه الأسباب دفعت المغاربة الى الاستقرار في الحجاز عامة والمدينة المنورة ومكة المكرمة خاصة ومشاركة أهلها حياتهم بما فيها من إيجابيات وسلبيات[1].

لقد إحتوت منطقة الحجاز في القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي على أعداد هائلة من العلماء الذين لم يكونوا من أبناء الحجاز وحدها، وهؤلاء أدوا عملاً بارزا في رواج الحركة العلمية فيها، وهذا ما ظهر جليًا من خلال ما سجله الرحالة المغاربة من أسمائهم وتراجمهم التي زادت في تلك الفترة حسب ما ورد في كتب التراجم حول الشخصيات المغاربية، كما لُوحظ أن هؤلاء العلماء المغاربة منهم من كان يفد سنويًا الى الحجاز، ومنهم من كان يفد بعد سنوات[2] ، وهكذا نجد منطقة الحجاز وخاصة المدينة المنورة ومكة المكرمة قد تهيأ لهما ما لم يتهيأ لغيرهما من مدن العالم الإسلامي من توافد العلماء الذين ذاع صيتهم وشهرتهم العلمية عليهما[3]، وكانوا يعقدون حلقات الدرس في المسجد المكي والمدني اللذين كان نظام التعليم فيهما يسير وفق نظم وقوانين محددة من حيث تخصيص أيام معينة للدراسة، وأُخرى للإجازات، كما حُددت العلوم التي تُدرس والأماكن التي تعقد فيها حلقات تلك الدروس، إذ كان لكل عالم وشيخ زاوية أو ركن خاص به وخزانة لكتبه العلمية الموقوفة على طلبته، فيدرسهم ويعطيهم الإجازات .

لقد افرز ذلك كله رحلات أصبحت بمثابة موسوعات علمية مُصغرة لما حوته من معلومات مهمة لجميع أحوال المسلمين في ذلك الوقت، إضافة الى أنها ضمت قوائم لأسماء العلماء البارزين واهم مؤلفاتهم والعلوم التي تخصصوا فيها وبرعوا فيها، فالرحالة كانوا بمثابة العين اللاقطة يستقطب إهتمامهم جميع الأُمور وإن صغرت بحسب ميلهم[4] .

كان هم الناس عموما في البلدان والأجناس المختلفة والأماكن والأزمان السفر والشغف بمعرفة العالم المحيط بهم، وعلى الرغم من محاولة هؤلاء اعتبار ذلك سعيًا وراء غايات بذاتها ، لكنهم في الحقيقة يكونون مدفوعين برغبة لا تعرف الحدود لفهم واستيعاب الأخر، الغريب، والمختلف، وإقحام الذات في ما هو أبعد من الأفاق المعروفة والولوج بها إلى فضاءات مجهولة وخرافية التفاصيل أحيانا، وربما علل الفاتحون العظام أمثال الاسكندر الأكبر، أو جنكيزخان أو نابليون أو شخصيات على طرازهم انجذابهم الجامح للغزو والفتوحات بالضرورة العسكرية والاقتصادية وذلك إخفاء لدوافعهم الشخصية في حب المغامرة.

وربما تستر بعض الرحالة العرب، ومنهم المقري عن ذكر الأسباب الحقيقية التي تدفعهم لذلك كالفرار من احباطات شخصية، أو مضايقات سياسية أو خوف من مصير مجهول[5]. كل هذه الأسباب وغيرها يمكن أن يؤسس إلى فكرة الرحلة.

إن الإنسان العربي المسلم عامة والمغاربي خاصة متعطش بطبعه لمعرفة العالم ، فهو شغوف بالذات لرصد تفاصيل الأعياد والمناسبات والعجائب التي تظهر غير ذات أهمية بالنسبة لنا اليوم [6]، فقد احتوت كتب الرحلات المغاربية إلى الحجاز على موروث مهم، وصفوا فيه مسالك الطرق ، وصنفوا الأماكن والحيوانات والثقافات والبلدان التي عرفوها في العوالم التي حلوا بها أو تخيلوها، وقد يعكس بعضا من ذلك شغفهم بسرد العجائب والغرائب ، فحتى الرسائل التاريخية والجغرافية الخاصة بطبيعة الأماكن كانت موشاة بحوادث وأخبار عجيبة، فهي بدلا من أن تكتفي بذكر الحقائق الموصوفة نجدها قد تعمدت أسلوب الإثارة الأدبية عند القارئ المثقف المتلقي لهذه الحكايات[7].

إن الرحلة نقلة في المكان والزمان ، كما سبق ذكره ، وسفر داخلي في فكر صاحبها ومعارفه وموقفه من الحياة والوجود ونظرته إلى الناس والمجتمع، وقد ارتحل الناس ولا زالوا يرتحلون غير أن قلة منهم أقبلوا على تدوين الأحداث التي صادفتهم ووصف الأقطار التي مروا بها، وقد فعلوا ذلك لشعورهم أنهم إطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم فرغبوا في تخليده حتى يعرفه من لم يرحل إلى تلك الأماكن .وقد اختلفت طرق كتابة الرحلات حسب ثقافة الكاتب وتصوره ومكان الرحلة وزمانها ونوعها فإن كان عالمِا فانه ينظر إلى الكون والناس والمجتمع من خلال علمه ، إما أن كان متصوفا فان الغالب عليه تحكيم التصوف ، ولا يتجلى موقف هذا أو ذاك من القضايا التي يثيرها أو المواقف التي يستعرضها أو الآراء التي يعبر عنها فحسب

بل يبدأ من اللحظة الأولى للكتابة ومن طريقة التأليف واختيار الأحداث والمواقف ، فصاحب الرحلة لا يعرض كل ما شاهده أو كل الوقائع التي حضرها ولكنه ينتخب ويختار حسب فكره ومكانته في المجتمع وموقفه من البيئة التي كانت مجال رحلته ، فالأحداث التي تبدو لبعض الناس عادية قد تكون طريفة عند الآخرين ، كما أن سبب التأليف هام في تحديد اتجاه المؤلف فأما أن يكتب لذكر الأحداث والمواقف التي تعرض لها مما يعتبره غريبًا وطريفًا يستحق الذكر وإما أن يكتب لإبراز سيرته في سفره.

وقد كان المغاربة منذ القديم وحتى في العصور الحديثة أهل سفر وترحال ولعل الموقع الجغرافي ساعدهم على ذلك، حيث يقع المغرب العربي في أقاص بلاد الإسلام، ويمكن أن نميز بين دافعين أساسيين للرحلات عند المغاربة[8] إلى منطقة الحجاز.

1-الأسباب الدينية:

يعتبر الحج أساسه لدى المغاربة عامة، لأنهم كانوا أبعد الناس عن الحجاز من جهة الغرب فكان شوقهم لأداء الفرائض وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من غيرهم وكانوا يتحملون في سبيل ذلك مشاق السفر[9].

لا نبالغ إذا قلنا انه لا يوجد مكان في العالم يؤُمُّهُ عشرات الآلاف من الأشخاص كل سنة مثل الحجاز (مكة والمدينة) ولعل هذا الوضع هو الذي قاد إلى

ما يسمى برحلات الحج، وهي رحلات تختلف عما هو معهود من رحلات. هذه الرحلات مخصصة لنسك إسلامي هو الحج والعمرة لا تتعدان ولم يعرف أصحاب تلك الرحلات أمكنة خارج نطاق الحج ومكانه، ولم يسبحوا في الأرض ابتغاء مآرب أو بتكليف مسبق وهم لا يرحلون إلا لهذين النسكين، ومع هذين النسكين طفق عدد كبير من الحجاج الرحالة أو الحجاج العلماء أو الحجاج طلاب العلم من اهتبال الفرصة، فاخذوا يكتبون ويؤلفون، ويدرسون وينشرون علمًا نافعًا يتمحور في مجمله حول الحرمين الشريفين، وحول المدينتين المقدستين وحول المناسك والشرائع ، وحول الحج والعمرة والزيارة ، وحول ما تعلق بهذا وذاك[10]، مثل ملاحظة أحوال سكان المدينتين (مكة والمدينة) ومعاشهم وعاداتهم ، أو من مثل التأليف في شعيرة لها مساس بوجود المسلم في مكة ، والطرق والمسافات في مكة والمدينة [11]، بل كان البعض يجمع بين الحج والعناية بالأثر والدراية بالرواية على يد مشايخ البلدين الشريفين ، وبعض من المقيمين أو المجاورين من الرحالة يسجلون لأساتذتهم تراجم ومعلومات لا تتوافر إلا في مثل هذه الكتب ، ومن هنا توافر لنا اليوم عدد وفير من المؤلفات التي تندرج تحت مسمى كتب الحرمين الشريفين.

ويظهر أن الرحالة الحجاج من المغرب العربي يأتون في المقدمة مقارنة بإخوانهم من بقية البلاد الإسلامية في هذا الشأن، فقد رصد الشيخ محمد الجاسر حوالي سبعين إسما وأثرا من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) حتى القرن الرابع عشر

الهجري (العشرون الميلادي) وكلهم من المغرب قدموا إلى الحجاز لأجل الحج والزيارة[12].

إن ما يقوي الاعتقاد بان الرحلة إلى الحجاز عند المسلمين عامة والمغاربة خاصة تتخذ طابعًا روحيًا ودينيًا، هو حرص الرحالة المغاربي المسلم على أن يكون قصده من رحلته وجه الله حتى لا يكون حظه من السفر هو النصب. ومن الإمارات الدالة على عمق الأواصر بين الرحلة والدين عند المغاربة، إنكباب كثير من الأئمة والعلماء على السفر وإنشغالهم بتنفيذ رحلاتهم. وجدير بنا في هذا السياق، أن نشير إلى أن أهل المغرب العربي كانوا أكثر الناس رحلة وتقليدًا لها، وفي مقدمتهم ثلة من الأئمة المفسرين والحُفاظ المحدثين والفقهاء[13].

ولا عجب من أن يستعمل الرحالة المغاربي الرحلة التي بيت الله الحرام دون أن يكترث بها ما يلاقيه من المشاق، طالما أنه يسعى إلى الظفر بما يرغب فيه من مثوبة من الله، فيحج لينخلع عن أوزار الدنيا ومآثمها، ولا شك في أن سلوك الرحالة في هذه الحالة هو جزء من الكل، لأن نشاط الرحالة يمثل فيه حسًا دينيًا مشتركًا بين مختلف فئات المجتمع المسلم التي تهفوا إلى أداء فريضة الحج، إستجابة لتعاليم الدين الإسلامي[14].

ومهما بدت رحلة الحجاج المغاربة في ذهابهم و إيابهم محاطة بالمخاطر ومحفوظة بالمكاره ، فإن جسورهم الروحية إلى البقاع المقدسة ، بقيت موشوجة و

قوية،[15] فلقد عظم المغاربة هذه البقاع و عبروا عن شوقهم لزيارتها، وإن هذا الشوق و الحنين للأماكن المقدسة، ليس تعظما للمكان و إنما للرسول نزيل ذلك المكان ، و في حبه حب الرسول صلى الله عليه و سلم و لعل الرحلة الحجية من هذا المنطق تمثل امتدادًا للشوق العارم و العاطفة الدينية الملتهبة ، فلا يشفى غليل المسلم إلا أن يظل مستحضرًا جلال المكان و قداسته[16] و لا يستطيع هذا المسلم أن يفارق البيت الحرام إلا بأسى وشجن.

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول إن الرحلة بمعناها الديني، تختزل اختزالًا مكثفًا في رحلة الحج التي نعتقد أنها خير إرتحال لأنها تشدان للمنطلق. وإذا لم يستطع المسلم إليها سبيلا، فما جعل الله لأحد سلطانًا على مشاعره، حتى يحرمه من التشوق إليها عن طريق ابتغاء معادل روحي وعمل شرعي يسمو به إلى مراتب الطمأنينة التي ما خص ببلوغها غير من شرح الحق نفسه.

إ ذا رجعنا إلى كتب التراجم وجدنا أسماء العلماء المغاربة الذين أدوا فريضة الحج، عبر عصور التاريخ الإسلامي، ربما بلغت المئات. فمنذ الفتح والوفود والأفراد تتدفق على مكة المكرمة والمدينة المنورة استجابة لنداء :(وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وعَلَىَ كُلِّ ضَامِرٍ)[17].

إن الرحلة إلى الحجاز لم تقتصر على موسم الحج الأكبر بل كانت تحدث من أجل أغراض أخرى كالعمرة وطلب العلم ومجاورة الحرمين والهجرة، ولكن ليس كل عالم أو متعلم قصد الحجاز ترك رحلة مكتوبة[18].

2-الأسباب العلمية:

كانت الرحلة في طلب العلم من التقاليد عند علماء المسلمين، فبعد أن ينهل الطالب من علماء بلدته والبلدان المحيطة يبدأ في الاستعداد للرحلة إلى الحواضر الكبرى، والغرض منها هو تحصيل علو الإسناد ولقاء الحفاظ والمذاكرة معهم[19].

فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والملكات، بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال علما بأن حصول الملكات عن المباشر والتلقين، أشدُ إستحكامًا وأقوى رسوخًا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها. لهذا فإن طالب العلم يجني من رحلته فائدة عظيمة، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده في تمييز الاصطلاحات. بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعلم، وطرق توصل، وتنهض قواه إلى الرسوخ والإستحكام في المكان وتصبح معارفه وتميزها عن سواها، مع تقوية ملكته بالمباشرة وكثرتها من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم.

إن الرحلة فرصة تتاح للرحالة لكي يتفاعل تفاعلاً مثمرًا مع العلماء و الطلبة الموجودين في الحجاز، حيث تتكون المجالس العلمية ، وينظر في مواضيع متنوعة،

تتوحد فيها أو تتشعب حولها وجهات النظر، وعلى هذا النحو، نرى أن القرآن الكريم يستأثر باهتمام خاص في الرحلة الحجازية مثلاً: فقد ترد الآيات القرآنية الكريمة على سبيل الاستشهاد أو التدليل و الإحتجاج و الإستنباط ، وتثار أسئلة من أجل التفقه والمدارسة و التذوق، فضلاً على أن الرحالة يتجاوب تجاوبًا روحيًا و فكريًا مع فقهاء الركب و علماء الزوايا و المساجد أثناء الطريق في رحلته إلى الحجاز[20].

تعتبر الرحلة من شروط إكتمال المعارف ووسيلة للقاء الشيوخ بشد الرحال إليهم و صارت مكانة العالم تقاس بإتساع رحلته و كثرة الشيوخ الذين أخذ عنهم ، ولما كان المغرب العربي معروفًا منذ القديم بتعدد المدارس وكثرة الخريجين ، فقد كان الكثير منهم يطمحون لإستكمال دراستهم بالمعاهد العلمية الكبرى بحواضر الشرق الإسلامي خاصة منطقة الحجاز، و قد إستقر بعضهم بتلك المنطقة و لم يعودوا إلى أوطانهم، و تحفل كتب التراجم بأسمائهم[21]،لأن الحجاز يتمتع بميزة أخرى جعلته أكثر جذبًا للعلماء وطلاب العلم بحكم مكانته الدينية، فأكثر من يقدم للحج و العمرة ، يقيم فترة للمجاورة في الحرمين، للتزود ببعض العلوم الشرعية ومجالسة أهل العلم الذين قد لا يتيسر لقاؤهم في غير الحجاز ، و ربما طال به المقام، فيستقر فترة من الزمن، فقد تطول و قد تقصر، وفي هذه الحالة يعد مجاورا فيستفيد من اتصاله بالعلماء، كما يفيد غيره من علمه[22]، وعليه يمكن أن نصف الذين قاموا بهذه الرحلات إلى نوعين:

– نوع قاموا بالرحلة لطلب العلم والإفادة من علماء عصرهم.

– نوع آخر ممن نال حظًا وافرًا من العلم فارتحل إلى أقطار أخرى للإفادة.

لم تكن المدينة المنورة هي المعقل الوحيد – وإن كانت تحتل الصدارة في هذا الباب–بل قصد طلاب العلم معظم الحجاز بسبب تعدد المراكز العلمية، وقد أسهمت المراكز العلمية بدور كبير في زيادة النشاط العلمي كما أسهمت الرحلة إلى طلب العلم في سرعة انتشار الآراء والمذاهب والأفكار على أيدي طلاب العلم والمتعلمين [23].

كانت الرغبة الشخصية في الترحال أو السفر لطلب العلم والمعرفة من أقوى الدوافع للمغاربة لزيارة البلاد التي تحقق هدفهم بغض النظر عن الصعوبات التي يمكن أن تصادفهم[24].

تحمل طلاب العلم مشقات السفر و الترحال إلى مراكز الحجاز العلمية و المعرفية ،ولم يقف طلب العلم عند التفقه في الدين و علومه فقط ، بل كانت هناك رحلات لطلب العلوم الدنيوية أيضًا ، و قد إرتبط تاريخ الإصلاح في الجزائر برحلات قام بها علماء مصلحون وأئمة إلى المشرق عامة وإلى الحجاز خاصة تلقوا خلالها العلوم الشرعية في الحرمين الشريفين ويذكر الجزائريون الرحلة الثانية لأبو راس الناصري إلى الحجاز و مكوثه بالمدينة المنورة، ورحلة الأغواطي و كلاهما كانت أواخر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي[25]، وتعد رحلة طلب العلم

من الجزائر إلى الحجاز تقليدًا لدى الجزائريين ، توارثوه على مدى أكثر من ألف سنة. الرحلة تبدأ من إحدى مدن الجزائر وتمر عبر جامع الزيتونة فالأزهر وصولًا إلى الحجاز، ويغيب طالب العلم عن وطنه خلال هذه الرحلة الطويلة لفترات قد تصل إلى 20سنة. يذكر الجزائريون رحلات طلب العلم الأولى التي نفذها أئمة ومشايخ، من خلال كتب الرحالة والرسائل التي دونتها مخطوطات مازال بعضها محفوظًا، وبعضها الآخر أُتلف وأتى عليه الزمن، ويقدر الباحثون في هذا المجال بأن الأرشيف الفرنسي الخاص بالجزائر وتونس يحتوي على مئات الرسائل والشهادات التي تصف الحياة الاجتماعية والتجارية في مدن الجزائر وتونس[26].

وخلاصة القول فعلى الرغم من وجود مؤسسات علمية كبيرة خلال تلك الحقبة التاريخية تؤدي دورها العلمي في بلاد المغرب العربي مثل: الزيتونة في القيروان، والقرويين في فاس وغيرها من المدارس والمساجد الكبيرة والزوايا المنتشرة في كافة ربوع المغرب الكبير[27] إلا أن المغاربة في طرابلس وتونس والجزائر والمغرب وشنقيط وما تبقى من علماء الأندلس قد رغبوا في الرحلة الى الحجاز وذلك لعدة أسباب:

أ–الإطلاع على الإتجاهات العلمية والفكرية عند علماء الحجاز.

ب–إتحاد المذهب الفقهي فغالب العلماء المغاربة ينتمون الى المذهب المالكي وهو مذهب أهالي الحجاز[28].

ج-الحصول على الإجازة العلمية من علماء الحجاز، او من عاش في المنطقة من المجاورين.[29]

د-الإحتكاك بين العلماء المغاربة وعلماء الحجاز من الذين أتوا من بلاد الشرق الإسلامي الأقصى مثل علماء الهند وداغستان والسند والأكراد وغير تلك الأقاليم وتلقي على أيديهم العلوم الإسلامية والعربية وغيرها من العلوم[30]، وسوف نجد في فصول آتية كيف إلتقى العلماء المغاربة بهؤلاء وما الذي أخذوه عنهم من علوم جمة يؤكد رغبة المغاربة في هذا الإحتكاك.

فلعل هذه الأسباب العلمية كانت الدافع المباشر والمؤثر الأول في تخطي الصعاب والإتجاه نحو منطقة الحجاز خلال القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي بالإضافة الى المشكلات السياسية التي كانت تواجه بعض هؤلاء العلماء، والتي دفعتهم للفرار الى الحجاز[31].

ولا شكّ أن الدافع العلمي له صلة أكيدة بالوازع الديني أو هو نتيجة له، لأن طلب العلم مرغوب فيه مثابٌ عليه في الإسلام، فلقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: {من خرج من بيْتِه إبتغاء العلم وضعت الملائكة أجنحتها له رضاً بما يصنع}، الشيء الذي جعل العلماء وطلاب العلم يضربون في الأرض ويتجشّمون وعثاء السفر ويقطعون المفازات والصحاري والبحار ويجوبون الأقطار بحثاً عن فائدة أو رجاء لقاء شيخ عالم، حتى أصبحت الرحلة أمراً لازماً وشرطاً من شروط

التحصين وبلوغ درجة عليا في التضلّع في المعرفة، بحيث لا يتبوّأ الشخص مكانة ذات إعتبار في أوساط المشتغلين بالعلم إلا بعد أن يرتاد الآفاق ويغترب طلباً له، وفي ذلك نظّم السفير الرحالة محمد إبن عثمان المكناسي يقول:

لا يبلغ المرء في أوطانه شرفاً حتى يكيل تراب الأرض بالقدمِ[32]

وقد سبق العلامة ابن خلدون أن كتب في هذا الشّأن قائلاُ: "إن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلّون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاةً وتلقيناً بالمباشر... فلقاء أهل العلم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الإصطلاحات بما يراه من إختلاف طرقهم فيها...فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال."[33]

لذا زخرت رحلات المغاربة بأخبار لقاء العلماء ومجالستهم ومناظرتهم والأخذ والسّماع عنهم وإستجازهم، فضلاً عم إقتناء المصنّفات ونسخها في شتّى بلدان المشرق، وخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وفي ذلك يقول ابن خلدون بأن رحلة المغاربة "كانت غالباً إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذٍ دار العلم ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ هن علماء المدينة."[34]

ونظرًا للهم المعرفي لجل الرحالة المغاربة وحرصهم على الإستفادة والإفادة، بنقل الأفكار والمعارف التي كانوا يحصلون عليها في أسفارهم، لم يفت أحدهم التنويه بالهدف الأساسي من تدوين رحلته والتصنيف في هذا الباب، اذ يؤكد ابوسالم العياشي صاحب رحلة ماء الموائد الشهيرة بالرحلة العياشية "إن قصدي إن شاء الله من كتابة هذه الرحلة أن تكون ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة، إن وجد الأمران فيها معًا فذلك أدعي لنشاط الناظر فيها."[35] فتنافس مؤلفو الرحلات في تضمين رحلاتهم ما وسعهم من العلوم والمعارف التي نهلوها من أُصولها سواء من افواه الشيوخ أو إقتباسًا من بطون الكتب التي وقفوا عليها رغبة منهم في علو السند وإثبات طول الباع.[36]

ومما يشئ بقوة الوازع العلمي لديهم أن أول ما كان يقوم به جلهم لدى حلولهم بأي بلد هو السؤال عن أهل العلم به، مبدين تقديرهم وتبجيلهم لمن لقوهم من العلماء ومدى الإستفادة منهم،[37] مما يفسر عدم خلو أي رحلة من الرحلات التي خلفوها من أخبار لقاء العلماء والتناظر معهم في شتى العلوم. فهذا محمد بن عثمان المكناسي يعرض على ذكر العلماء الذين إجتمع بهم خلال رحلته التي قادته سنوات 1786-1788 الى الحجاز، فخلال مقامه بالعاصمة العثمانية توطدت العلاقة بينه وبين أحد علمائها وقضاتها، وفي ذلك كتب : "وقد حررت هذه المراتب العلمية من بعض الأفاضل من علماء الروم وأحد قضاتها، وفضله مشهور ومغلوم يقال له صدقي مصطفى، وقد كانت بيني وبينه معرفة وإتصال، ترامى على معرفتنا

من حسن أخلاقه ذات يوم ونحن بمسجد السلطان محمد، ودعاني الى منزله ولم يجعل لنا فسحة في التخلف، وأحضر جمعًا من الطلبة وأطعمة كثسرة، وزارني في منزلي بعد ذلك فتأكدت بيننا وبينه المعرفة".[38]

علاوة على طلب العلم والإستزادة منه والتضلع فيه بلقاء الشيوخ والعلماء والحصول على الإجازات والأسانيد العالية ونقل حصيلة ذلك الى المراكز العلمية بالدول المغاربة، إغتنم المغاربة فرص رحلاتهم الى الحجاز لإرتياد مكتباتها ومدارسها قصد الإطلاع على المصنفات التي لم يقفوا عليها بدولهم ونسخ وشراء الكتب، إذ تفيد روايات معظم الرحالة حرصهم على إرتياد هذه المؤسسات العلمية وطلب الكتب في أسواق الكتبين، مثال ذلك ما أفرده ابن عثمان المكناسي للموضوع في رحلته السالفة الذكر، فخلال مقامه بالمدينة المنورة أبدى إعجابه الكبير وإستحسانه لما كانت تتوفر عليه من خزانات ومكتبات حيث يقول: "وأما ما في هذه المدينة من خزائن الكتب المعتبرة، التي لا يوجد مثلها في سائر البلاد فشيء لا يفي به تقرير ولا يؤديه تعبير، كل مسجد له خزانة وهناك خزائن أخرى من غير المساجد، ويضل الجميع مفتوحاً والقيِّم حاضر، ومن أراد أن يطالع أو ينسخ يضلّ هناك حتى يقضي غرضه ولا تخرج ورقة من هنالك."[39] وعلى قول المؤلف يقف القارئ على أن ابن عثمان نسخ أبواباً كاملة من مظانٍ متعددة، سواءً تلك التي نهل منها في المكتبات والخزانات التي إردتادها[40] أو تلك التي إقتناها خلال سفره، فقلّما طرق موضوعاً ولم يأت بإقتباس من مصدر أو أكثر ناقلاً بذلك أفكاراً ومعارف في حقول متعددة

كالفقه والكلام والتصوف والتاريخ والجغرافيا من كتب كثيرة لم تكن متوفرة بالمغرب.[41]

وفي هذا الصدد يمكن الجزم بأن العديد من الرحلات المغاربية في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي تبدوا بمثابة ملخصات ومقتبسات لمصادر وقف عليها مؤلفوها في أسفارهم. فقد عوّل المكناسي في إستقاء مادة رحلته من مصادر متنوعة في شتى الحقول المعرفية إقتبس من بعضها أبوابًا وفصولًا بكاملها[42]، ومن بين تلك المظانٍ "تهذيب الأسماء واللغات" للنووي و "وفيات الصحابة" للصغاني و "الإستعاب" لابن عبد البرّ و "الإصابة" لابن حجر، إعتمدها أساساً في تراجم الأعلام فيما رجع للتعريف بأسماء الأماكن إلى "القاموس" للفيروز بادي و "المشترك" لياقوت الحموي، بينما إقتبس مادته عن موضوعات التصوّف والكلام من تأليف جلال الدين السيوطي المتعددة مثل "العرف الوردي في أخبار المهدي" و "الكشف عن مجاوزة هذه الألف"، في حين إعتمد تاريخ القرماني "أخبار الدول وآثار الأول" لإيراد موجز لتاريخ الدولة العثمانية، كما إقتبس من كتاب عبد الغني بن إسماعيل النابلسي "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بيت الشام ومصر والحجاز" لوصف مراحل طريق الرّكب الشامي.[43]

فضلا عما سبق، لن تفوتني الإشارة إلى عامل هام ساهم بقصد وافر في إنتقال المغاربة إلى الحجاز في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي هو

تشجيع الدولة العثمانية علماء الجزائر للهجرة إلى بلاد الحجاز لطلب العلم، كما حرص سلاطين المغرب على تكليف أمراء ركب الحج وسفرائهم إلى البلاد المشرقية خاصة الحجاز بجلب الكتب والمؤلفات العلمية، فهذا أبو القاسم الزياني يورد عن جانب من مهمته خلال سفارته عام 1876م أنه "لما قضيت الغرض واشتريت الكتب التي أوصاني بشرائها أمير المؤمنين، وهو مسند أبي حنيفة النعمان ومسند الإمام الشافعي ومسند الإمام أحمد، والطريقة المحمدية المختصرة من الأحياء... وأعطاني الوزير الأعظم إختصار المواهب الأربع في سفر، وتأليف الدرر المتداول عندهم في الفقه الحنفي... وشرحه المسمى بالغرر على الدرر في سفرين."[44]

وبديهي أن كثير من الرحالة المغاربة فعلوا الشيء ذاته في بلاد الحجاز، إذ يوردون أنهم رجعوا محملين بنوادر المؤلفات والكتب، فانتقلت بذلك أعداد هامة من المخطوطات العربية من المشرق إلى الخزانات العامة والخاصة بالمغرب، وكما يشير إلى ذلك الحسن الشاهدي، فإن كثيراً من الكتب المشرقية لو تكن لتنال شهرة في الدول المغاربية وتحظى بالإهتمام بها شرحاً وتلخيصاً وتقييداً وحفظاً وتدريساً لولا الرحّالة، بل أن بعضها إنفرد دون سواها "بإيراد جملة من النصوص والرسائل والإجازات والنقول... التي لا نكاد نقف لها على أثر في غيرها من المضانِ."[45]

3 – الأسباب السياسية:

تمثل الجوانب السياسية أبرز الدوافع التي جعلت المغاربة –خاصة علماء بلاد الأندلس- يهاجرون إلى مصر والحجاز، ويسكنون المنطقة، ففي أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي حدثت تغيرات في شبه جزيرة إيبيريا، تمثلت في إتحاد ممالك إسبانيا –التي كانت تسمى الأندلس ومنها (أرجوانة – قشتالة) ثم تم الاستيلاء على غرناطة آخر معاقل المسلمين وعقدت معاهدات كثيرة تحفظ حقوق المسلمين- العنصر المهزوم – وتأمين حياتهم، وعلى الرغم من تلك المعاهدات التي عقدت بين المسلمين والأوروبيين الكاثوليك، فإن المسلمين لقوا من التعذيب ما حملهم على الفرار إلى خارج الأندلس شرقاً وغرباً وجنوباً إلى بلاد المغرب ومنها إلى شمال إفريقيا حتى مصر ومنها إلى الحجاز، وكان الموركسيون في فرارهم يستقر منهم في كل إقليم يفيدون إليه طائفة حتى تفرقوا في البلاد[46]، ووصلت منهم طائفة ليست بالقليلة إلى المدينة المنورة سواءً من الأهالي أو العلماء البارزين[47]، وفي هذا القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وحده وجد من أهالي الأندلس ما يزيد على إحدى عشرة أسرة أندلسية إستوطنت الحجاز وكان لها أثراُ بارزا على الحياة السياسية كفتنة عذيب القبيطي الأندلسي[48] وغيره مما حدث إبان ذلك القرن[49]، بمساعدة العثمانيين.

وبالإضافة إلى ذلك فإنه وفي مرحلة تالية عقب الخروج المهين للمسلمين في الأندلس وجود طائفة إسلامية عظيمة الشأن لها وجودها الاقتصادي والاجتماعي إشتدت عليها المظالم من قبل التحالف الكاثوليكي، وكان طبيعيا أن يهاجر الكثير

من الأندلسيين إلى بلاد المغرب العربي –الحالي- ومصر ثم الحجاز حتى تسكن المدينة المنورة بعض الأسر الأندلسية العريقة.

ولم يكتفي الإسبان والبرتغاليون بطرد المسلمين إلى الأراضي المغربية والجزائرية والتونسية وما شرقها، وإنما قاموا بحركة هجومية على بلاد المغرب العربي الأقصى والأوسط والأدنى في حركة إلتفاف حول العالم الإسلامي من أجل القضاء على الحياة السياسية والدينية[50]، ودخلوا في صراع كبير مع أهالي تونس والجزائر والمغرب الذين قاوموا المحتل بمساعدة القباطنة الأتراك[51]، الذين حاولوا جاهدين مساعدة المسلمين الموجودين بعد سقوط الأندلس أو المسلمين في شمال 'فريقيا،[52] وقد دفع المغاربة ثمنًا غاليًا لهذا الصراع، حيث قام الإسبان بالإستيلاء على بعض المدن المغربية كطنجة وسبتة ومليلية والمهدية والمعمورة، والعرائش، ولم يسترد المغاربة بعضها الا بعد صراع كبير للغاية، ولا شك أن هذه الصراعات السياسية قد حملت الكثير من المغاربة الى إيثار السلامة والرحيل نحو الشرق، فإستوطن الكثير منهم مصر وإستوطن بعضهم الشام والحجاز حتى إستقرت العديد من الأسر والأفراد في المدينة المنورة، وكونوا جالية كبيرة من مجاوري بلاد المغرب فيها، وإستطعوا تكوين إدارة لها للعمل على شؤونها .

إن الأوضاع السياسية التي شهدتها بلاد المغرب العربي إختلفت من قطر الى آخر، لذلك فإن الأسباب السياسية التي دفعت بالمغاربة الى الهجرة الى منطقة

الحجاز إختلفت من إقليم الى آخر، بالرغم من أن في مجملها كانت متشابهة، ومن ابرز الأسباب والدوافع السياسية التي دفعت بالمغاربة الى الهجرة الى منطقة الحجاز في مطلع القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي نذكر ما يلي:

أ-الصراعات السياسية في بلاد المغرب، بحيث إستهل القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي والأحوال الداخلية في بلاد المغرب في حالة الإضطراب وساعد على ذلك الإختلافات الواضحة بين سكان الأقاليم المختلفة من المغرب، فسكان جبال الأطلس يتميزون بإستقلالهم وبدائيتهم ويصعب مقارنتهم بسكان فاس الذين كانت حياتهم ناعمة، كما كان يصعب مقارنتهم برجال البحر في سلا، والذين تميزوا بطموحهم الزائد، وإذا كانت هذه الإختلافات في وطن واحد بما فيها من طبقيات وطائفية[53]، بالإضافة الى الإستبداد السياسي والصراعات بين القبائل والأقاليم والبربر الى غير ذلك من مختلف الطبقات والفئات وهي مشكلات سياسية كانت ترسم الحياة السياسية في بلاد المغرب (شمال إفريقيا ما عدا مصر).

ب-الصراعات على الحكم، فمنذ أن وطأت أقدام مولاي إسماعيل الى الحكم والأوضاع الداخلية في بلاد المغرب وفي قصر الحكم على غير ما يرام، حيث كان لوالد الأمير إسماعيل ثلاثة وثمانون إبنًا وأكثر هذا العدد من البنات،[54] وبالتالي يتضح حجم التشاجر والتخاصم، وكم من أمير دفع حياته ثمناً لمؤامرات الأميرات وزوجات الشريف، وكان ذلك النقص الموجود في الاستقرار الأسري للدولة العلوية

يساعد نموّ الصراعات السياسية داخل البيت الحاكم،[55] وانتقل هذا الصراع الداخلي إلى صراع بين مراكش والسّوس وسجلماسة وسالا وغيرها من الأقاليم المغربية في بلاد المغرب الأقصى،[56] وانتشرت في هذه المرحلة التاريخية المعارك والمناوشات بين السلطان وأقرابه، وبعمليات زحف وهجوم وعمل الكمائن وكثر عدد القتلى، حيث كانت هذه الحروب سبباً في خراب مناطق بأكملها من المغرب، ولم يكن السلطان أو الأمير يأبى بها أو بسكانها، إذ كانت تعتبر بلادهم وأهلها عبيداً، كما أن المعارك أجبرت الكثير من الفلاحين على ترك أراضيهم والفرار منها، ومن إمكانية تجنيدهم في القوّات المحاربة وكانت الجيوش تقوم بالبحث عن الحبوب والأغذية داخل المطامير في القرى المهجورة إلى غير ذلك من الأحداث التي دفعت أهالي بلاد المغرب إلى البحث عن مكان آمن على حياتهم، والذي كان المشرق بما فيه الحجاز، وخلاصة القول فإن الأوضاع لم تكن مستقرة في بلدان المغرب بوجه عام أما في طرابلس وتونس والجزائر لم تكن تقِلُّ الأحوال فيها سوءاً عن مراكش، وهو ما دفع المغاربة إلى الإتجاه نحو منطقة الحجاز وغيرها من أقاليم الشرق الإسلامي.

ج-إضطهاد العلماء المغاربة، كان من الأسباب القوية والمباشرة التي أدّت إلى رحيل المغاربة إلى المشرق عامة والحجاز خاصة، خاصة العلماء، حيث كان الحكام يتخذون ممن يتعرضون لأعمالهم وتصرفاتهم من العلماء مواقف متشددة[57]، وكانت من نتائج هذه الأحداث السياسية قيام الحكام بقتل العلماء أو نفيهم أو فرارهم إلى الحجاز.

فمن الأمثلة على هذا الموقف المتشدد الذي يدفع المغاربة الى الهجرة الى الحجاز ما حدث للشيخ الكراي،[58] وهو من أبرز العلماء في بلاد المغرب فكان يعقد مجلسًا للوعظ والإرشاد، وأنشأ زاوية وأنفق عليها من ماله الخاص ، وكلما فضل عنده شيء من غلال الوقف يشتري به عقارًا ويضيفه لربع الزاوية حتى أتسع نشاطها، وكل ذلك لم يرضي الحكام، ففي العقد الأخير من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ومطلع فترة البحث تعرض الشيخ الكراي لمحنة على عهد المراديين إبان صراعاتهم على الحكم، إذ دخلوا عليه في زاويته ليلا بصحبة ستين فارساً من أتباعهم، وأهانوه وأجبروه على الخروج من زاويته والمشي إلى داره بعد التهديد والإهانة.[59]

ومنها كذلك ما حدث للشيخ علي النوري الصفاقسي المتوفى عام 1118هـ / 1726م وهو عالم من أهم وأبرز علماء تونس أو المغرب الأدنى، فلم يسلم من أذى الحكام على الرغم من أنه كان قريباً منهم ومحبباً إليهم، وعلى الرغم –أيضاً– من جهوده السياسية والدينية ضد فرسان القديس يوحنا[60] الذين أتوا من مالطا في الربع الأول من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، ونهبوا مدينة صفاقس وسرقوا سفنها فخرج هو وتلامذته من رجال العلم والسياسية وحاربوهم حتى ردّ عادياتهم، ولم يكتفي بذلك فإنه تشاور مع السّاسة وأنشأ عدداً من السفن بديلة لما نهبه هؤلاء الفرسان، وكانت النتيجة أنه دخل في محنة كبيرة بدلاً من التكريم، وسبب هذه المحنة –كما تذكر المصادر– أن بعض الوشاة الحاقدين وشوا به

إلى السلطة بأنه يتآمر على قلبها نظراً لمكانته ونفوذه في بلاده، وصادفت هذه الوشاية أذناً صاغية من السلطة فنكّلت بأتباعها ونجا بالفرار متنكراً إلى الحجاز، وأرسل السلطان بعد ذلك جماعة من رجال العسكر لأخذ الشيخ وأتباعه وأموالهم، فأرسل بعض أهل الفضل كتاباً إلى الشيخ يحذره قبل وصول العسكر إليه، فلبس إحرام المرأة ونعلها وخرج مع نساء الشيخ أبي عبد الله السيالة متخفياً مهاجراً بدينه إلى إحدى الزوايا بتونس، ومنها رحل إلى الحجاز وظلّ بها حقبة تاريخية قبل استقرار الأوضاع في بلاده.[61]

لقد كانت الحوادث السياسية قد أفضت إلى خسائر كبيرة وأدت إلى فناء خلائق لا يُحصَون، ووقع نهب في شتى بلاد المغرب الواسعة ويعبر عن ذلك صاحب الأعلام قائلاً: "وكاد أن يهلك جميع من في بلاد المغرب لولا لطف الله ورحمته بالمؤمنين"[62]، كما لخص صاحب شجرة النور سوء الأوضاع في قوله ملقياً التبعة على الحكام: "متى أستعمل على الرعية الأرازل والسفهاء وأهل البطالة والإعلان والشهوات، كان ذلك داعيا إلى فساد نيتهم وإنهماكهم في الشهوات" وختم حديثه ببيت من الشعر قال فيه:

لا تصلح الناس فوضى لإسراه لهم		ولا سراه إذا جُهّالهم سادوا[63]

فبالإضافة إلى الأسباب السالفة الذكر هناك أسباب سياسية أخرى كانت من بين عوامل هجرة المغاربة إل الحجاز في مطلع القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي منها:

– إستقرار الوضع السياسي للإيالة الجزائرية خلال هذه الفترة، مما ساعد على حرية التنقل دون خوف من مخاطر الطريق.[64]

– الخطر الصليبي وحالة الحرب المستمرة ضد القوى المسيحية ولّد لدى المغاربة وخاصة الجزائريين حب الجهاد في سبيل الله، وبالتالي التمسك بالدين.

– إن الأوضاع السياسية التي عرفتها الدول المغاربية وخاصة إيالة الجزائر أثناء العهد العثماني، وتراجع حركة التعليم من الدوافع التي إضطرت كثيراً من المغاربة وخاصة الجزائريين إلى الهجرة للمشرق عامة والحجاز خاصة والاستقرار هناك نهائيا.

– الرحلة للقيام بسفارة كانت لها أهداف سياسية، حيث كان الباشاوات يختارون بعض العلماء للقيام بهذه المهمة الدبلوماسية، وعلى سبيل المثال فإن الداي عمر باشا (1815م-1817م) كان قد كلّف محمد بن العنابي للقيام بسفارة إلى المغرب الأقصى، طلباً للمساعدة العسكرية من السلطان سليمان بعد حملة اللورد إكسموث (1816م) كما قام بسفارة إلى إسطنبول عام 1817م.

4-الأسباب الاقتصادية:

بالإضافة إلى ما سبق من أسباب توجد الأسباب الاقتصادية والتي كانت سببا هاماً في رحيل المغاربة إلى الحجاز خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ذلك أن الصراعات السياسية التي سبق ذكرها سواءً أكانت الخارجية بين بلاد المغرب والإسبان أو الصراعات بين الحكام وما تلاه من فتن كان لها أثرها الاقتصادي السيء على بلاد المغرب العربي.[65]

إضافة إلى ذلك فقد كانت المنتجات التي ينتجها المغاربة والتي يرغب التجار في تصريفها وتسويقها في بلاد المشرق إبتداءً من مصر[66]، ثم بلاد الحجاز عبر ميناء السويس، وكانت تأتي بالدخل الكبير للمغاربة، وهو ما كان دافعاً قوياً للمغاربة في العمل التجاري، وبالإضافة على ذلك فقد أصبح للمغاربة في الحجاز تأثير قوي في الأنشطة التجارية والزراعية والصناعية البسيطة المؤثرة، مما دفع العديد منهم إلى إستيطان الحجاز والعمل بتلك الأنشطة المتنوعة.[67]

إن حدوث بعض المجاعات في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي كانت سببًا لرحيل المغاربة إلى الحجاز، ومنها المجاعة التي سميت: "المجاعة الكبرى"، وقد وقف فيها العلماء مواقف مشرفة ساعدوا بلاد المغرب العربي في الخروج من نكبتها مثل: الشيخ إبراهيم الرياحي[68]، وكانت من نتائج هذه المجاعة هجرة العديد من العلماء الى بلاد المشرق خاصة الحجاز، وهذه المرحلة التاريخية سجلت أكبر عدد للهجرة الى الحجاز[69].

خاتمـــة:

لقد كانت بلاد المشرق خاصة الحجاز أكثر إستقرارًا وبالتالي أكثر نشاطًا إقتصاديًا، حيث قام التجار المغاربة بالتجارة في المنتجات الهندية والشامية واليمنية والمصرية من خلال وجودهم في الحجاز وعودتهم عبر مصر، في دلالة أن بلاد المغرب العربي كانت أسوأ حالًا من هذه الناحية.

ما يعرف عن المغاربة تعلقهم بالبقاع المقدسة، ولهذا كانت نفسهم تتذوق الى زيارة هذه الأماكن للتبرك بها وزيارة قبر النبي – صلى الله عليه وسلم–وخاصة الجزائريين الذين كانوا يعبرون عن هذا الشوق من خلال كتابات نثرية وشعرية تتعلق بهذا الغرض.

الهوامـــش

[1] مسعود بن محمد آل زيد، **تاريخ مكة المكرمة في عهد الأشراف آل زيد 1041–1299هـ/1631–1881م**، دار القاهرة، مصر، 2005م، ص224.

[2] نفسه، ص226.

[3] نفسه، ص227.

[4] مصطفي رمضان، **العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر**، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، مصر، 1405هـ/1985م، ص127.

[5] أبو العباس أحمد المقري، **رحلة في المشرق والمغرب**، مخطوط المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم 3191.

[6] مصطفى رمضان آل زيد، **المرجع السابق**، ص129.

[7] رفائييل إسرائيلي، "المسلمون الذين زاروا الصين خلال العصور الوسطى"، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر، **مجلة دراسات شرقية**، العددان 19 و20، باريس، 2003م، ص58.

[8] محمد الخاتمي، "رحلات السوسيين"، "رحلات السوسيين بين الإفادة والامتاع"، **موضوع لأطروحة لنيل دكتوراه الدولة**، إشراف عباس الجراري، كلية الآداب، الرباط، المغرب الأقصى، 1989م، ص85.

[9] محمد المنوني، **ركب الحج المغربي**، معهد مولاي الحسن، تيطوان، المغرب الأقصى، 1953م، ص98.

[10] حسن جلاب، "أدبيات الشوق إلى البقاع المقدسة"، **مجلة دعوة الحق**، العدد 357، السنة الثانية والأربعون، شوال -ذو الحجة 1421هـ / جانفي – فيفري 2001م، ص41.

[11] رافائيل إسرائيلي، **المصدر السابق**، ص60.

[12] ALBERTINI (E), MARCAS (G).YVER (G), **L'Afrique du nord dans l'histoire**, édition Archat, Lyon, Paris, 1937, P42.

[13] فاطمة خليل، "من ملامح الرحلة المغربية"، **مجلة البحث العلمي**، العدد الرابع، 1991م، ص28.

[14] نفسه، ص30.

[15] نفسه، ص32.

[16] حسن جلاب، **المرجع السابق**، ص44.

[17] القرآن الكريم، **سورة الحج**، الآية 27.

[18] أبو القاسم سعد الله، **على خطى المسلمين (حراك في التناقض)**، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص32.

[19] نفسه، ص34.

[20] محمد بن الخوجة، "من صلات الإيخاء والصفاء والعلم والرواية بين رجالات تونس والمغرب"، **مجلة المناهل**، العدد الثاني، 1976م، ص35.

[21] يوسف بن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة، (د.ت) 2003/16م، ص203.

[22] Faure-Bignet, « Notice sur le cheikh MOHAMMED ABOURAS EN-NASIRI de Mascara », **Journal Asiatique**, Série 9, Tome 4, Année 1899, PP 402-418.

[23] محمد علي فهيم بيومي، **المرجع السابق**، ص 14.

[24] نفسه، ص 16.

[25] **جريدة الخبر**، السنة الواحدة والعشرين، العدد 6453، التاريخ 21 رمضان 1432هـ/21 اوت 2011م، ص 11.

[26] MERCIER, (E.), Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus recules jusqu' a la conquête française 1830, E Leroux, Paris, 1897, P 32.

[27] العباس بن إبراهيم، **الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1977م، الجزء الثامن، ص-ص 321-375

[28] محمد ظافر الأزهري، **اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب المدينة**، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1999م، ص-ص 44-45.

[29] إسماعيل العجلوني، **إجازات الشيخ العجلوني**، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم 97 مصطلح، ورقة 30.

[30] الجبرتي، **عجائب الأثار في التراجم والأخبار**، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، الجزء الأول، ص-ص 155-200.

[31] محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ت)، الجزء الخامس، ص-ص 55-56.

[32] عبد العزيز بن عبد الله، **الرحلات من المغرب وإليه**، دار نشر المعرفة، الرباط، 2001م، ص 85.

[33] عبد العزيز بن عبد الله، **المرجع السابق**، ص 92.

[34] حسن جلاب، **المرجع السابق**، ص 48.

[35] مارتين هيجر، **مبدأ العلة**، ترجمة: نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات، (د.ت)، ص 101.

[36] عبد الكريم الجبلي، **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل**، تحقيق: صالح عويضة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418هـ، ص 122.

[37] محمد بن علال الصديقي، **الفتوحات الربانية على الأذكار النورية**، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، 1989م، ص 84.

[38] ابن حسن الحجوي الفاسي، **رحلة حجازية**، تحقيق: عبد المجيد خبالي، دار إبن حزم، بيروت، 2010م، ص 98.

[39] محمد بن جعفر الكتاني، **الرحلة السامية إلى مصر والحجاز والبلاد الشامية**، تخريج: حمزة الكتاني، تعليق: محمد بن عزوز، مركز التراث الثقافي، بيروت، 2005م، ص 91.

[40] نفسه، ص92.

[41] محمد الطيب الكتاني، **الأنفاس النورانية في الرحلة الحجازية**، مراجعة: محمد مهدي الكتاني، إخراج عبد الله الكامل الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، ص 105.

[42] نفسه، ص 110.

[43] غاستون باشلار، **جماليات المكان**، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، 1984م، ص 207.

[44] طه عبد الرحمان، **سؤال الأخلاق**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، بيروت، البيضاء، 2009م، ص 34.

[45] نفسه، ص 35.

[46] عبد الله محمد جمال الدين، **مصير المسلمين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة**، بحوث الأندلس، دار المعرفة، 1994م، ص 374.

[47] محمد عبد الله عنان، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1987م، ص-ص 244-250.

[48] زين العابدين البرزنجي، "كشف الحجاب والتور عما وقع لأهل المدينة مع أمير مكة سرور"، **مجلة العرب**، ج: 9-10، الرياض، 1985م، ص 601.

[49] عبد الله محمد جمال الدين، **المسلمون المٌصرون او المورسكيون الأندلسيون**، الطبعة الأولى، القاهرة، 1991م، ص 399.

[50] نفسه، ص 391.

[51] عزيز سامح، **الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة: محمود علي عامر، الطبعة الأُولى، دار النهضة العربية، بيروت، 1409هـ/1989م، الفصل الثالث، ص-ص 413-414.

[52] نبيل عبد الحي رضوان، **جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس وإسترداده**، مطبعة العصر الحديث، القاهرة، ص 462.

[53] أحمد بن هطال التلمساني، **رحلة محمد الكبير (باي الغرب الجزائري) إلى الجنوب الصحراوي الجزائري**، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969م، ص 16.

[54] جلال يحي، **المغرب العربي الحديث والمعاصر، الفجر وإحتلال فرنسا للجزائر**، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م، ص 248.

[55] عبد الرحمان الأنصاري، **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب**، تحقيق: محمد العروسي المطوي، دار النشر، المكتبة العتيقة، الكبعة الأُولى، تونس، 1390هـ/1970م، ص-ص 49-50.

[56] عبد الله محمد جمال الدين، **مصير المسلمين الأندلسين بعد سقوط غرناطة**، من بحوث ندوة الأندلس في جامعة الإسكندرية، سبق ذكره، ص 370.

[57] نفسه، ص372.

[58] الكراي: هو الشيخ أبو الحسن بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن علي بن ميمون الكراي الصوفي الوفائي، مولده في صفاقس إرتحل إلى الأزهر، ثم عاد إلى بلاده، ثم دل في محنة غادر في إثرها إلى الحجاز، وتوفي سنة 1115هـ/1723م.

- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الجزء الخامس، ص-ص 55-56.

[59] محمد محفوظ، **المرجع السابق**، الجزء الرابع، ص 156.

[60] نفسه، ص 158.

[61] محمد علي فهيم بيومي، **المرجع السابق**، ص 22.

[62] نفسه، ص 23.

[63] محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، 1349هـ، القاهرة، ص 163.

[64] GRAMMONT,(H.DE), **Histoire d'Alger sous la domination Turque**, 1515-1830 , E, Leroux, Paris, 1887, P 82.

[65] محمد بن محمد مخلوف، **المصدر السابق**، ص-ص 216-219.

[66] **جيرار، الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر، من وصف مصر**، ترجمة: زهير الشايب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1978م، الجزء الثالث، ص-ص 253-254.

[67] عبد الرحمان الأنصاري، **المصدر السابق**، ص-ص-ص 147-397-429.

[68] محمد بن محمد مخلوف، **المصدر السابق**، ص 167.

[69] محمد ظافر الأزهري، **المصدر السابق**، ص-ص 44-45.